شخصية المسيحي
(كولوسي ٣: ١-١٧)

تأليف: تومي ساوث

الشخصية هي تلك السلوك والأخلاق التي تجعلك من أنت عليه. بهذا المفهوم تكون شخصية كل فرد فريدة. ولكن لدى بعض الناس الكثير من الصفات المشتركة بحيث يمكن لعلماء النفس أن يتحدثوا عن أنواع معينة من الشخصيات كالمنفتحة، والمنطوية، المتهورة، والسلبية، والاستحواذية؛ إلخ.

إذا أمكن تمييز هذه الأنواع من الشخصيات لأن الناس الذين وُصفوا بهذه الكلمات لهم ميزات مشتركة بصَفة هامة، فيمكن أيضاً تمييز شخصية مسيحية لأنه توجد للمسيحيين ميزات مشتركة بصفة هامة.

طبعاً لا يعني هذا بان جميع المسيحيين متشابهين أو ينبغي أن يتشابهوا من كل نواحي الشخصية. كما يوجد مسيحيين طويلو وقصيرو القامة، وكبيرو الحجم وصغيرو الحجم، هكذا أيضاً يمكن للناس المنبسطين {الانفراديين} أو المنطويين أو المتهورين أو السلبيين أو الاستحواذيين أن يكونوا مسيحيون، ومع ذلك، إذا نظرت إلى الذين هم مسيحيين بالحقيقة ستلاحظ بان لهم بعض الأشياء المشتركة التي تجعلهم مختلفين اختلافاً كبيراً عن العالم. تلك الميزات التي يشتركون فيها يمكن أن نسميها «شخصية مسيحية». ماذا تشبه مثل هذه الشخصية، وكيف يمكن تطويرها؟ تجيب الرسالة إلى أهل كولوسي ٣: ١-١٧ على هذين السؤالين بوصف عملية تتكون من ثلاث خطوات:

الخطوة الأولى: الادراك بان دوافعنا الأساسية لتغيير حياتنا هي علاقتنا الجديدة مع المسيح (كولوسي ٣: ١-٤)

كان أهل كولوسي يحسون بخطورة تأثير المعلمين الكذبة عليهم. قال بولس: «انظروا أن لا يكون أحداً يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس ...» (كولوسي ٢: ٨). يتضح بان هؤلاء المعلمون علموا مزيج من فلسفة وثنية (كولوسي ٢: ٨) والمسيحية المتمسكة باليهودية (كولوسي ٢: ١٦ و١٧). ولكن أفضل ما كان يمكن أن يعطوه كحل لمشكلة الخطية هو وصايا العالم. أنذر بولس أهل كولوسي أن لا يقبلوا وصايا التعليم الكاذب، إذ قال: «لا تمس، ولا تذوق، ولا تجس» التي كانت جميعها حسب «وصايا وتعليم الناس» (كولوسي ٢: ٢٠-٢٢). يبدو ان هذه كانت أنواع الديانة التي عملت للسيطرة على أهواءهم الدنيوية قبل أن يصيروا مسيحيين.

قال بولس بان تلك الوصايا لم تكن فعالة. رغم انها كانت «لها مظاهر الحكمة لما فيها من إفراط في العبادة المصطنعة، وإذلال للذات وقهر للجسد، أمور لا قيمة لها، وما هي إلا لإرضاء الميول البشرية» (كولوسي ٢: ٢٠-٢٣). القوانين والحواجز الشرعية لن تمنعنا عن الخطية أبداً. إذن ماذا يمنعنا؟ ما الذي يعمل كحاجز فعال للخطية؟

يجيب بولس على ذلك السؤال في كولوسي ٣: ١-٤. معرفة علاقتنا مع المسيح ستمنعنا

عن الخطية. قال بولس (١) باننا قد قمنا مع المسيح، ولهذا يجب أن نسعى إلى الأمور التي في العُلَى (الآية ١). لأننا قد متنا وحياتنا مستترة مع المسيح في الله، يجب أن نفكر في الأشياء التي في العُلى (الآيتين ٢ و٣). (٣) ستكون مكافأتنا عند ظهور المسيح حيث نظهر نحن أيضاً معه (الآية ٤). إذن يجب أن نميت ما هو أرضي في حياتنا (الآية ٥).

الدافع الذي يتوسل بولس من أجله واضح: لأنه توجد لنا صلة مع المسيح نسعى إلى الأمور التي في العُلَى. نفكر في الأشياء التي في العُلَى. قد موتنا ما هو أرضي فينا.

كيف تقودنا علاقتنا مع المسيح إلى تغيير حياتنا؟ نفكر ببضع أشياء عند الإجابة على هذا السؤال: (١) عندما نصير مسيحيين، يكون المسيح الأهم عندنا؛ محبتنا له تعني ان حبنا للأشياء التي في العالم أقل. (٢) يقوينا المسيح لكي نتغلب على التجارب. (٣) المعرفة بان المسيح قد غفر لنا تجعلنا نرغب في ان نبقى مخلصين وتشجعنا لنقاوم الخطية. (٤) ما دمنا مسيحيين، نعرف بانه لا يناسب لنا أن نعيش كما لو كنا من العالم. (٥) ما دام ربنا يملك كل سلطان، يجب أن نصغي إلى كلامه ونخضع إليه؛ بمتابعة تعاليمه نتغلب على الخطية ونعمل على تطوير شخصية مسيحية.

قد يكون السبب في عدم نجاحنا في تطوير الشخصية المسيحية هو لأننا لم نخطو الخطوة الأولى. قد اعتمدنا على دوافع خاطئة. قد حثتنا الرغبة فقط في تجنب الجحيم فنظرنا إلى وصايا العهد الجديد وكأنها قوانين ولوائح يجب ان نعمل بها إذا أردنا البقاء خارج الجحيم. مثل هذا الفهم للمسيحية «لها مظاهر الحكمة لما فيها من افراط في العبادة المصطنعة، وإذلال للذات، وقهر للجسد» (كولوسي ٢: ٢٠-٢٣). ولكن في النهاية قال بولس بانها «أمور لا قيمة لها، وما هي إلا لإرضاء الميول البشرية». ربما قد اعتمدنا لفترة طويلة جداً على وصايا دنيوية ولبرهة اقصرً على علاقتنا بالمسيح، كدوافع لنحيا الحياة المسيحية.

الخطوة الثانية: ان نميت صفاتنا الدنيوية (كولوسي ٣: ٥-١١)

لاحظ ان بولس قال بانه ينبغي أن نميت صفاتنا الدنيوية (الآية ٥)، وبانه يجب أن نطرحها عنا (الآية ٨)، وباننا قد خلعنا الإنسان العتيق (الآية ٩). علينا أن «نميت» و«نطرح» و«نخلع» صفات الخطية. لا تعتقد بانك تستطيع أن تتعايش مع الصفات الدنيوية! تخلي عنها! اقتلها، اطرحها في المزبلة، واخرجها عن حياتك، واحذفها من شخصك!

ما الأشياء التي يجب أن نميتها؟

نميت خطايا الشهوة

«فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض: الزنا، النجاسة، الهوى {أي جموح العطافة}، الشهوة الردية ...» (كولوسي ٣: ٥). عندما تسمع كلمات مثل «الزنا»، «النجاسة»، «الهوى»، «الشهوة الردية» ما الذي يخطر ببالك؟ لا يسعني إلا التفكير بعصرنا الحديث. كيف يمكن مشاهدة التلفاز وخاصة البرامج الغربية دون ان تأخذ جرعة كبيرة من مشهد «الزنا»، «النجاسة»، «الهوى»، «الشهوة الردية»؟ ومع ذلك، رغم ان هذه الأمور تصف العالم، لا يجب أن تصف المسيحيين!

ربما يجب أن نلاحظ بان هذا النص لا يحرم عملية الزنا فحسب، بل أيضاً خطية الشهوة. لا يجب أن تكون للمسيحي شهوة. وأيضاً ينبغي له أن يتجنب الحالات التي قد تبث فيه الشهوة، ويتجنب عمل الأشياء التي توجدها الشهوة في الآخرين. هنا لدينا دافع قوي لأن نبتعد عن الإباحية، ونتجنب النشاطات التي لها علاقة بالشهوة مثل الرقص، وأن نلبس لباس الحشمة.

لماذا نتجنب أعمال الزنا وأفكار الشهوة؟ لأن هذه هي «الأمور التي من أجلها يأتي غضب الله» (كولوسي ٣: ٦). قد لا نتعرض لعواقب وخيمة بسبب هذه الخطايا إلى حين، ولكن عندما يرجع المسيح، سينهي الله الأمور. الذين

زرعوا الأشياء الدنيوية يحصدون غضب الله!

نتخلى عن خطية الطمع

يقول بولس: «فأميتوا ... الطمع الذي هو عبادة الأوثان» (كولوسي ٣: ٥). توجد الحاجة لهذا الإنذار بصفة خاصة في عالمنا هذا. عادة ما تكون القوة الدافعة وراء التجارة الحديثة هي طمع أو اشتهاء ما للغير.

من المثير للعجب ان يتحدث بولس عن الطمع وكأنه عبادة الأوثان. لا توجد عبادة اوثان علنية في مجتمعنا الحديث لا ينحني الناس أمام تماثيل مصنوع من الخشب أو الحجر. ولكن هناك الكثير من انواع الوثنية: يضع الناس اكتساب الخيرات المادية قبل الله، وبهذا أصبحت تلك الخيرات نفسها إلاهم. هذا طمع ... هذا عبادة الأوثان ... وهذا خطية ... وتجلب غضب الله علينا!

نتخلى عن خطية الانفعال

يقول بولس: «وأما الآن، فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكل: الغضب، السخط، الخبث ...» (كولوسي ٣: ٨). علينا أن نتخلى عن «الغضب» ليس من الخطأ دائماً أن نغضب (أفسس ٤: ٢٦). ولكن يوجد نوع معين من الغضب غير الصحيح. قد يقود أي نوع من الغضب إلى عمل غير صحيح! أترك الغضب! يقول بولس أيضاً بانه يجب أن نتخلى عن «السخط» أي «النقمة». ويجب التخلى عن «الخبث». لا يجب أن نتجنب الانفعال فقط، بل أيضاً أن لا نتمسك بالحقد وحفظ الخبث في قلوبنا تجاه الذين أخطأوا إلينا.

ان نميت خطية اللسان

يقول بولس: «فاطرحوا عنكم ... التجديف، الكلام القبيح من أفواهكم. لا تكذبوا بعضكم على بعض ...» (كولوسي ٣: ٨ و٩).

يجتهد المسيحي إلى ضبط لسانه، ليتجنب أن يخطيء بشفتيه بأية طريقة – ما إذا كانت باللعنة أو بالكلام القبيح أو بالكذب. يا للفرق الذين يكون بينه وبين الذين من حوله!

لماذا يجب على المسيحي أن ينزع عنه هذه الأشياء؟ لأن الحياة والكلام بهذه الطريقة لا يتماشيا مع وضعه الجيد. بما يختص بهذه الخطايا، قال بولس: «وفيها سلكتم في الماضي، حين كنتم تعيشون فيها» (الآية ٧).. ولكن يجب أن تتخلوا عنها.

> لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه، حيث ليس يوناني ويهودي، ختان وغرلة، بربري، سكيثي، عبد، حر ... (كولوسي ٣: ٩–١١).

قد تغيرت حياتك! أنت الآن مسيحياً! فأحيا كما يليق! في الماضي كنت مذنباً بكل أنواع الخطايا، وأما الأن فلا يمكن أن تعيش في ما بعد بتلك الطريقة! علاوة على ذلك، بما ان «المسيح {هو} الكل وفي الكل»، فلا بد له أن يحكم على حياتك وليس العالم.

الخطوة الثالثة: نلبس الصفات المسيحية (كولوسي ٣: ١٢–١٧)

الوصف المستخدم في كولوسي ٣: ١٢–١٧ هو وصف تغيير الملابس. قال بولس بانه يجب أن نميت ما كانت لنا من ميزات في وقت ما. ولكي نملأ الفراغ الذي تركته هذه الصفات الدنيوية، يجب أن نلبس صفات مسيحية جديدة، كما يلبس الإنسان ملابس جديدة.

أن يصير الإنسان مسيحياً مثله مثل نقل المواطنة من مملكة إلى أخرى (كولوسي ١: ١٣ و١٤)؛ ومثل الولادة الثانية (يوحنا ٣: ٣–٥؛ ١ بطرس ٢: ٢)؛ ومثل القيامة من الموت (أفسس ٢: ١). وهو أيضاً مثل تغيير الثياب. ابتهج إشعياء بان الله قد ألبسه «ثياب الخلاص» (إشعياء ٦١: ١٠). شُبّه خلاص الابن الضال بلبس الحُلّة {أي الثوب} (لوقا ١٥: ٢٢). استخدم يسوع تغيير الثوب كرمز الخلاص في مثل وليمة الملك (متى ٢٢: ١١–١٤). سيتسربل الذين تم خلاصهم بالثياب البيض في السماء (رؤيا ٧: ١٣ و١٤). ونقرأ في غلاطية ٣: ٢٧ ما يلي: «لأن كلكم الذين أعتمدتم بالمسيح قد

لبستم المسيح».

بالرغم من ان بولس يشبه التغيير المسيحي بالقيامة في كولوسي ٣: ١-٣، قال أيضاً بانه مثل تغيير الثوب:

> ... إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد ... فألبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة (كولوسي ٣: ٩-١٢).

توضح الفكرة بما يلي: قد متم عن الحياة العتيقة، وأُقمتم لحياة جديدة؛ والآن ينبغي أن تلبسوا ملابس جديدة - غيّروا ثوبكم - وألبسوا نوع الملابس التي تليق بمنزلتكم الجديدة.

تأمل في الثوب الجديد الذي يجب أن نلبسه:

ان نلبس الاهتمام بالآخرين

تم التعبير عن الاهتمام بكلمتين، الأولى: «رأفات» وترجمت أيضاً إلى «عواطف الحنان» في كتاب الحياة. وهي صفة تميز المسيح دائماً! يهتم المسيحي دائماً بالآخرين وباحتياجاتهم. الكلمة الثانية هي «لطفاً» ويجب أن تصف المسيحي! قد يظن العالم بانه من الحذاقة ان يكون المرء ماهراً، وان يقدر على مجاوبة سريعة وحادة، ويشتم الآخرين و«يفصلهم». وبالمقابل، يحاول المسيحي دائماً ان يجعل الحياة سهلة لكل من يلتقيه.

أن نلبس التواضع

كلمتين تضعان التشديد على هذه الفكرة. الأولى هي «دناءة» لا يلبس المسيحي الكبرياء، بل يدرك بانه ليس إلا خاطئاً خُلص بالنعمة، وبانه لا يكون شيئاً من غير المسيح. وهدفه في الحياة هو أن يَخْدم وليس أن يُخْدَم. الكملة الثانية هي «وداعة». الوداعة ليست ضعف، بل قوة تحت السيطرة. يظهر المسيحي الوداعة بالتعامل اللطيف مع الآخرين.

ان نلبس سلوك مناسب تجاه الذين يخيبون آمالنا أو يضروننا

يبدو بان هناك ثلاث كلمات تصف الطريقة التي يستجيب بها المسيحي في مختلف الحالات. أولاً: يجب أن تكون طول الأناة ميزة المسيحيين. ثانياً: يجب أن يكون التحمل صفة المسيحي. يمكن للمسيحيين أن يتحملوا اصحابهم الضعفاء؛ الآخرون ضعفاء، يرتكبون الأخطاء لهم سلوك مزعج. ماذا يجب أن نفعل؟ ربما كل ما يمكن أن نفعل هو ان نتعلم كيف نحتملهم ونحبهم على الرغم من عيوبهم. ثالثاً: يجب أن تكون المغفرة صفة المسيحي! (كولوسي ٣: ١٣). حتى في الكنيسة يحتمل أن يكون للأعضاء شكاوي على بعضهم البعض! فماذا؟ بينما لا يجب أن ننسى بعض النصوص التي تعلمنا أن نذهب إلى بعضنا البعض، الا ان «الشيء الأساسي» هو أن نغفر!

ان نلبس المحبة تجاه الجميع

يقول بولس: «وعلى جميع هذه ألبسوا المحبة التي هي رباط الكمال» (كولوسي ٣: ١٤). المحبة هي الهدف الأساسي، والمطلب الأسمى، والمجد المكلل، والانجاز الاستثنائي للشخصية المسيحية. المحبة هي الأكثر أهمية. والمحبة هي «رباط الكمال». ربما هذا يعني بان المحبة قد جمعت كل الميزات الأخرى في شخصية واحدة بنسب متناسبة. أو قد يعني بان المحبة تسهل للمسيحيين العيش معاً في وفاق.

ان نلبس السلوك والاخلاق التي تبني الكنيسة

يبدو بان هناك ثلاث صفات تعبر عن حياتنا معاً كشعب الله. يجب أن يكون السلام ميزة المجتمع المسيحي! (كولوسي ٣: ١٥). يجب أن يسود السلام في قلب الأفراد المسيحيين. عندما يكون المسيحيون كافراد في سلام مع الله، ويكونون في سلام مع بعضهم البعض ايضا. علاوة على ذلك، يجب أن يكون الشكر صفة للمجتمع المسيحي (كولوسي ٣: ١٥). يعبد المسيحيون الله دائماً. وبصفة خاصة، المسيحيون أُناس يسبحون الله ويعظون بعضهم البعض بالترنيم.

الخلاصة

كيف نستطيع ان نلخص ما سبق ذكره؟ لنحاول وصف شخصا مسيحيا. كيف تتعرف علي شخصية المسيحي إذا تمت مقابلته؟

فكر في الشخص المخلص من قبل المسيح، والذي كرس نفسه كلياً للرب. تحكم الروحيات في حياته عوضاً عن الأمور الدنيوية. يقضي وقتاً يتأمل في ما عمله المسيح لأجله. وهدفه هو أن يكون ما أراد له المسيح أن يكون. يعتبر نفسه مغمورا في المسيح ويتطلع إلى اليوم الذي يكون فيه مع المسيح في مجد سماوي.

وفي الوقت الحاضر، يفعل الكل ما في وسعه ليعتزل عن الشؤون الدنيوية. ويحاول أن يتمثل بالمسيح. يكون حنونا، ولطيفا، ومتواضعا، ووديعا، وطويل اناة، ومحتملا، وغفورا، ومحبا. يقدم الشكر لله دائماً. وباختصار، الشخص الذي له شخصية مسيحية يحاول بقدر الامكان أن يعمل بما ورد في كولوسي ٣: ١٧: «وكل ما عملتم بقول أو فعل، فافعلوا الكل باسم الرب يسوع، شاكرين الله والآب به». إذا فعلت ذلك، تكون قد نجحت حقاً في اكتساب شخصية مسيحية.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧